



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة
- كلية أصول الدين -

" توظيف النظرية في بحوث الاعلام والاتصال "
ندوة علمية تكوينية لطلبة الدكتوراه في تخصص صحافة

بن بخمة رمضان أستاذ

د. قرناني ياسين أستاذ محاضر أ

مساعد أ

جامعة الأمير عبد القادر

قسم علوم الإعلام والاتصال - جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2

قسنطينة

عنوان المداخلة: النظرية كضابط منهجي للباحث في دراسة علمية

نظرية الاستخدامات والإشباعات أنموذجا

المحور الثامن: أنموذج تطبيقي لنظريات الإعلام (إحدى النظريات كنموذج..)

الإشكالية:

يستدعي البحث العلمي التقيد بإجراءات وقواعد وضوابط محددة تكون إطارا مرجعيا يعتمده الباحث في

إنجاز بحثة أو دراسته لان العلاقة بين النظرية والبحث العلمي علاقة تبادلية تفاعلية وظيفية، ولا يمكن أن يستغني

أحدهما عن الآخر. وبطبيعة الحال لا يمكن خوض غمار البحث العلمي من دون منهج علمي ومن دون مرتكز

نظري يضبط عمليات البحث لتسهيل العملية على الباحث للمضي قدما دون تيه أو ضياع.

وتشتمل النظرية على مجموعة من القضايا المنتجة وذات الفائدة، ينبغي أن تتوافر فيها شروط أربعة: " أن تكون مستندة إلى أفكار محددة تمامًا، ومتسقة الواحدة مع الأخرى، ويمكن أن تستقر منها تعميمات، وتقود الباحثين إلى مجموعة من الملاحظات والتعميمات التي تؤدي إلى توسيع نطاق المعرفة".

وتعتبر النظرية ثمرةً لدراسات مستفيضة للوقائع والظواهر تقدم رؤية منهجية منظمة لواقع ما، تُصاغ النظرية في شكل مجموعة من المصطلحات والتعريفات والافتراضات المترابطة بعضها ببعض.

وتترجم النظرية علاقة ثابتة بين متغيرات بعينها بهدف تحديدها والتنبؤ بما يعترضها من تغيرات، كما تسعى النظرية للقفز وراء المجهول بدافع التنبؤ والاستكشاف¹.

وتعترض الباحثين صعوبات كبيرة ليس في اختيار النظرية التي تتناسب مع دراساتهم ولكن في آليات تطبيق النظرية في ثنايا الدراسة .

وقد وقع اختيارنا على نظرية الاستخدامات والإشباع وهي من أشهر النظريات وأكثرها استخداما في علوم الإعلام والاتصال لأنها متعلقة بشكل كبير بالدراسات التي تفسر العلاقة بين وسائل الإعلام والجمهور، وقد تناولنا في هذه المداخلة العناصر التالية:

✓ مفهوم النظرية

✓ وظائف النظرية العلمية

✓ اختيار النظرية وعلاقته بالدراسة

✓ نظرية الاستخدامات والإشباع وفروضها

✓ إسقاطات النظرية على أجزاء الدراسة

¹ - أحمد إبراهيم خضر، كيف يربط طلاب الماجستير والدكتوراه النظرية بالبحث الميداني، تاريخ الزيارة : 2018/12/8.

النظرية العلمية (بالإنجليزية: Scientifique théorie) هي هيكل أيديولوجي منتظم يتصوره الخيال البشري ضمن نطاق واسع، ويشمل مجموعة من القوانين التجريبية التي من شأنها تنظيم الأشياء والأحداث، التي تمت ملاحظتها وعرضها، وتقوم النظرية العلمية بشرح هذه القوانين بطريقة عقلانية وعلمية، ويستخدم العلماء بيانات الانتظام في النظرية العلمية لتفسير الأشياء والأحداث، بحيث إذا كانت هذه القوانين دقيقة فيمكن اعتبارها قوانين تجريبية تعبر عن استمرار العلاقات بين الأشياء أو الخصائص الملاحظة، وتكون قادرة على تلبية الفضول عن طريق الكشف عن النظام في سلوك الأشياء أو الأحداث، وحينها تكون القوانين التجريبية قادرة على تقديم خطة منهجية لتفسير حصول الأشياء والأحداث. بالإضافة إلى ذلك، يستخدم العلماء الملاحظات والتجارب الدقيقة والمخططات التفسيرية المنهجية (نظريات) في محاولة لتفسير الأشياء والأحداث. النظرية العلمية والخبرة الحسية¹.

¹ - إسلام فتحي، ما هي النظرية العلمية ، تاريخ الزيارة 2018/12/8.

- 1- تساعد النظرية على نضوج واكتمال العلم ، فجميع العلوم الطبيعية والاجتماعية مكونة من نظريات اختصاصية تهتم بتفسير وتوضيح الجوانب المختلفة لمواضيعها وموادها العلمية والمنهجية . فكلما كانت نظريات علم من العلوم كثيرة ومتشعبة كلما كان العلم ناضجاً وقادراً على تفسير ظواهره وعلاقاته وتفاعلات عناصره التي تهتم بدراستها وتحليلها . وكلما كانت نظريات العلم قليلة وضعيفة كلما كان العلم فتياً وغير قادر على تفسير ظواهره وعناصره التكوينية وبالتالي غير متمكن من معالجة مشاكل وسلبيات الإنسان والمجتمع.
- 2- تتكون النظرية من المفاهيم والمصطلحات الفنية التي لا غنى عنها لأي علم من العلوم . وعندما تتكاثر وتتضاعف النظريات تزداد المفاهيم والمصطلحات التي تكتنفها النظريات وتنمو العلوم نمواً سريعاً . إن كل مفهوم أو مصطلح يتضمن خبرة اجتماعية وعلمية طويلة، وهو بمثابة تلخيص لكثير من الحقائق التي تتكون منها النظرية العلمية.
- 3- تقوم النظرية العلمية بتفسير الظواهر الواضحة والغامضة والتفاعلات الأساسية والثانوية والعوامل الموضوعية والذاتية لعلم من العلوم . ومثل هذا التفسير والشرح يمكن العلم من استيعاب المشكلات والتناقضات التي تقع في حقل من حقول المجتمع . وبعد استيعابها والإمام بجوانبها تستطيع معالجتها معالجة موضوعية تدفع المجتمع إلى التطور والنمو والازدهار.
- 4- تحدد النظرية ميادين الدراسة في مختلف العلوم ، كما تحدد نوع الحقائق التي ينبغي أن يتجه إليها الباحث في ميدان دراسته. وبدون النظرية تتداخل ميادين البحث وتتلاشى الحدود التي تفصل بعضها عن البعض الآخر¹.

¹ - النظريات الاجتماعية، ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة القادسية، نظام التعليم الإلكتروني، تاريخ الزيارة 2018/12/8.

ب- اختيار النظرية وعلاقته بالدراسة:

يعتمد اختيار النظرية في البحوث الاجتماعية على عناصر رئيسية هي:

1. عنوان البحث (الدراسة). "أثر التفكك الأسري على انحراف الأحداث" مثال فقط

2. تحديد المتغير التابع والمستقل.

دائماً يكتب المتغير المستقل أولاً ثم التابع، ففي المثال السابق "أثر التفكك الأسري على انحراف الأحداث

المتغير المستقل: التفكك الأسري

المتغير التابع: انحراف الأحداث

إذاً يكون تركيز الدراسة في الإطار النظري على المتغير التابع، انحراف الأحداث

3. مشكلة البحث: تحوي المشكلة على عرض مختصر للبحث بالإضافة إلى بعض الإحصائيات والهدف العام

لدراسة وما الذي يمكن أن تسهم فيه هذه الدراسة¹.

4- الدراسات السابقة:

سواء المتعلقة بنفس الموضوع أو القريبة منه، لان كل باحث من المفترض أن يتناول المشكلة من زاوية معينة،

بالرجوع إلى الدراسات السابقة نستطيع صياغة الأهداف والتساؤلات والفروض ، ومن ثم نختار النظرية المناسبة

بناء على ما سبق.

5- أهداف البحث : لابد أن تعبر الأهداف عن علاقة بين متغيرين .

6- الدراسة الميدانية الاستمارة أو المقابلة .

¹ اختيار النظرية في البحوث الاجتماعية ، المنتدى العربي للعلوم الاجتماعية، النشر، تاريخ الزيارة: 2018/12/08،

ثانيا: نظرية الاستخدامات والإشباع:

تهتم نظرية الاستخدامات والإشباع بدراسة الاتصال الجماهيري دراسة وظيفية منظمة، فخلال عقد الثلاثينات والأربعينات من القرن العشرين أدى إدراك عواقب الفروق الفردية والتباين الاجتماعي على إدراك السلوك المرتبط بوسائل الإعلام إلى بداية منظور جديد للعلاقة بين الجماهير ووسائل الإعلام وكان ذلك تحولا من رؤية الجماهير على أنها عنصر سلبي غير فعال إلى رؤيتها على أنها فعالة في انتقاء أفرادها لوسائل ومضمون مفضل من وسائل الإعلام¹.

تعد نظرية بمثابة نقلة فكرية في مجال دراسة تأثير وسائل الاتصال، حيث يعد النموذج البديل لنموذج التأثيرات التقليدي الذي يركز على كيفية تأثير وسائل الاتصال على تغيير المعرفة والاتجاه والسلوك، بينما يركز مدخل الاستخدامات والإشباع على كيفية استجابة وسائل الاتصال لدوافع واحتياجات الجمهور الإنسانية، ويتميز الجمهور في إطار هذا المدخل بالنشاط والايجابية، والقدرة على الاختيار الواعي والتفكير، وبذلك يتغير المفهوم التقليدي للتأثير والذي يعني بما تفعله وسائل الإعلام بالجمهور، إلى دراسة ماذا يفعل الجمهور بالوسيلة².

مقارنة بالدراسات التقليدية لتأثير وسائل الإعلام والاتصال فإن هذا المدخل يأخذ في الاعتبار زبون وسيلة الإعلام (الملتقى) كنقطة بدء بدلا من أن تكون الرسالة الإعلامية هي نقطة البدء، ثم يخبرنا عن سلوكه الاتصالي فيما يتعلق بتجربة الفرد المباشرة مع وسائل الاتصال. ويرى الباحثون أن الأفراد يوظفون بفعالية مضامين رسائل الإعلام والاتصال بدلا من أن يتصرفوا سلبيا اتجاهها، ومن ثم فإن هذا المدخل لا يفترض وجود علاقة مباشرة بين الرسائل والتأثيرات على الجمهور، ويفترض بدلا من ذلك أن الجمهور يستخدمون الرسائل لأمر كثيرة، وتلك الاستخدامات تلعب كعوامل وسيطة في عملية التأثير.

¹. حسن عماد مكاوي، ليلي حسين السيد، الاتصال ونظرياته المعاصرة، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ط 3، 2003: ص 239.

². رضا عبد الواحد أمين، الصحافة الالكترونية، القاهرة، دار الفجر للنشر والتوزيع، ط 1، 2007: ص 33.

يؤمن مدخل الاستخدامات والاشباعات أن للجمهور إرادة يستطيع من خلالها تحديد أي الوسائل يستخدم وأي محتوى يختاره ويركز المدخل على الدوافع الخاصة، ويفترض أن المحتوى الأكثر فعالية لوسائل الاتصال لا يستطيع التأثير على الشخص غير المستخدم الوسيلة في الإطار النفسي الاجتماعي الذي يعيش فيه، حيث تمثل قيم واهتمامات وأدوار الأفراد الاجتماعية العامل الحاسم في اختيار الأفراد لوسيلة الاتصال ولنوع المضمون المقدم من خلالها¹.

أ- فروض مدخل الاستخدامات والاشباعات.

يبني مدخل الاستخدامات والاشباعات على فكرة مؤداها أن الحاجات مرتبطة بوسائل الاتصال، والتي تنشأ في ظل بيئة اجتماعية ونفسية معينة تخلق لدى الفرد دوافع للتعرض لوسائل الاتصال، فضلاً عن وسائل أخرى غير وسائل الاتصال حيث يتوقع الفرد أن تتحقق له هذه المصادر واشباعات لهذه الحاجات، وقد تنجح وسائل الاتصال في تحقيق هذه الاشباعات، وقد لا تنجح في ذلك².

ويمكن أن نحدد الحاجات الشخصية للجمهور AUDIENCE NEEDS في:

1- حاجات معرفية: COGNITIVE NEEDS وهي حاجات متعلقة بتعزيز المعلومات والمعرفة والفهم المتكامل لبيئة الفرد، هذه الحاجات تكون مبنية على رغبة الفرد لفهم ومحاولة التحكم في البيئة المحيطة به، هذا بالإضافة إلى إشباع الفضول ورغبة الاستكشاف.

2- حاجات وجدانية: AFFECTIVE NEEDS وهي حاجات نابعة من الرغبة في إشباع الذوق الجمالي وإشباع الحاجات العاطفية والترفيهية.

¹. رضا عبد الواحد أمين، مصدر سابق: ص 33.

². رضا عبد الواحد أمين، مصدر سابق: ص 35.

3- حاجات شخصية: PERSONAL INTEGRATIVE NEEDS تتعلق بتعزيز مصداقية

وثقة وثبات ومكانة الفرد، وتكون هذه الحاجات مستمدة من رغبة الفرد بالارتقاء الذاتي.

4- حاجات اجتماعية: SOCIAL INTEGRATIVE NEEDS وتعلق بتقوية العلاقات

الاجتماعية مع الآخرين وهذا يتضمن أفراد الأسرة والأصدقاء والمجتمع، وكل هذه الحاجات مستمدة من الرغبة والانتماء.

5- الهروب من الواقع: ESCAPIST NEEDS وهي حاجات متعلقة بالشروود الذهني وتخفيف حدة

التوتر النفسي والرغبة في التسلية والترفيه¹ ويمكن أن نلخص فروض مدخل الاستخدامات والاشباع في النقاط التالية:

• أن السلوك الاتصالي سلوك هادف PURPOSIVE وذو دوافع MOTIVATED حيث يسعى

جمهور وسائل الإعلام بإيجابية لتحقيق أهداف محددة من خلال استخدام هذه الوسائل.

• يتخذ الجمهور مبادرة انتقاء واستخدام وسائل الاتصال لإشباع حاجاتهم ورغباتهم الشخصية، فقد يكون

استخدام الجمهور لوسائل الإعلام هو استجابة لاحتياجاتهم الأساسية، ولكنه من ناحية أخرى يشبع حاجاتهم ويلبي رغباتهم كالبحث عن المعلومات لحل مشكلة ما.

• يتأثر السلوك الاتصالي لجمهور وسائل الإعلام بمجموعة من العوامل الاجتماعية والنفسية التي تعمل بمثابة

المتغير الوسيط بين الوسيلة وجمهورها، فهذه العوامل تعمل بمثابة المرشح Filter لاستجابات الفرد السلوكية اتجاه وسائل الإعلام.

¹ - منصف الشنوفي وآخرون، دراسات إعلامية، الكويت، ذات السلاسل 1995: ص 473-474.

● قد تؤثر وسائل الإعلام في سمات الفرد من ناحية أو في البناء الاجتماعي والثقافي والسياسي والاقتصادي للمجتمع من ناحية أخرى ومن ثمة يمكن الاستدلال على المعايير الاجتماعية والثقافية السائدة في مجتمع ما، من خلال استخدام أفراد وسائل الإعلام.

● تتنافس وسائل الإعلام مع أشكال الاتصال على عمليات الانتباه والانتقاء والاستخدام التي يجريها الجمهور لإشباع حاجاته ورغباته، فهناك علاقة مؤكدة بين الاتصال الشخصي الجماهيري، حيث أن الطريقة التي تلي بها وسائل الإعلام، الاحتياجات تختلف من فرد لآخر، باختلاف الظروف الاجتماعية والنفسية المحيطة بكل فرد¹.

ب- رؤيا الرواد: فقد حصروها في خمسة Bloomer, D.McQUAIL, and BROWN

فروض وهي:

- 1- مشاهدة التلفزيون أو استخدام تكنولوجيا الإعلام والاتصال موجهة نحو هدف معين.
- 2- وحده المشاهد يمكنه الكشف عن هذه أهدافه واهتماماته ودوافعه، كونه مشارك نشيط وفعال في العملية الاتصالية.
- 3- توجد أنماط متعدّدة ومتنوعة للدوافع والحاجات والإشباعات .
- 4- يمكن معالجة إشباع الرغبات والدوافع والاهتمامات والوظائف كوحدات مختلفة للتحليل.
- 5- يمكن وصف استخدام وسائل الإعلام بأنه عملية تفاعلية تربط المحتوى والدوافع والإدراك والوظائف بالسياق الاجتماعي الذي يكون فيه الشخص، وأنّ التجربة الاجتماعية تخلق بعض الرغبات يوجّه البعض منها نحو وسائل الإعلام للإشباع.

ثالثا: إسقاطات افتراضات نظرية الاستخدامات والإشباعات:

كثيرا ما يجد الباحث صعوبة في إسقاط افتراضات النظرية على دراسته وسنبين في هذا النموذج كيف يطبق

الباحث أجزاء النظرية على سائر دراسته:

1- **عنوان الدراسة:** لا بد أن يرتبط عنوان الدراسة في إطار استخدام الأفراد لمختلف وسائل الإعلام والاتصال

ومختلف التكنولوجيات الحديثة الانترنت وتطبيقاتها وكذا الهواتف المحمولة لان الاستخدام سلوك اتصالي مهم

في هذه الدراسات، ومنه لا يمكن إنزال النظرية على دراسات ليست في مجال الاستخدامات.

2- **الاستخدام هو المتغير المستقل** في مثل هذه الدراسات.

3- **الإشكالية:** لا بد أن يظهر مفهوم الاستخدام وافتراض الجمهور النشط في أجزاء الإشكالية لان الفرد في هذه

النظرية يتسم بالنشاط والتفاعل والاختيار والانتقاء وتحديد الهدف من الاستخدام لان أي استخدام مرتبط

بهدف محدد.

4- **أهداف الدراسة** لا بد أن تكون لها علاقة مباشرة بالاستخدام **مثال** استخدام الهاتف المحمول وعلاقته

بالتحصيل الدراسي....

5- **الدراسات السابقة:** أن تكون لها علاقة بالاستخدام ولو بشكل جزئي ...

6- **الدراسة الميدانية:** نستخلص النتائج انطلاقا من استمارة الاستبيان والتي تبنى أساسا على فروض نظرية

الاستخدامات والاشباعات.

- أسئلة تتضمن عادات وأنماط الاستخدام تفترض الجمهور النشط ... زمن الاستخدام/ حجم الاستخدام/

خبرة الاستخدام/ فترات الاستخدام/ الأيام الأوقات /

- دوافع الاستخدام لان كل استخدام له أهداف يطلبها المستخدم وتختلف من فرد لآخر

- الإشباع والرغبات وفق النظرية فان الأفراد يستخدمون الوسائل والمحتويات التي يرون أنها تجلب لهم الرضا وهذه العملية تكون بعد نهاية الاستخدام .